أثر كلام الإمام علي (عليه السلام) في نثر ابن المقفع
(الأدب الصغير أنموذجا)

جنان منصور الجبوري ضياء طعمة عبد الله
قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء

الخلاصة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الكرام. إن الأبعاد البلاغية والفلسفية لكلام الإمام علي (عليه السلام) تركت بصماتها وأثارها على الكتاب بمختلف المجالات لما فيه من قدرة فنية في إبداع الصورة وقوة الأداء في التعبير.

ومن هؤلاء الذين تأثر تأثير واضح بكلام الإمام (عليه السلام) إبن المقفع في كل نتاجاته بدى أثر كلام الإمام واضح. إذ يعد الأدب الصغير عبارة عن رسالة تتضمن طائفةً من الحكم والوصايا في أغراض شتى منها: الدينية، والسياسية، والعسكرية وغيرها حرصَ ابن المقفع فيها على إرشاد الناس إلى معاشهم ومعادهم وما بين ذلك من أعمال.

وتعد هذهِ الرسالة "من بدائع ابن المقفَّع أملاها عقله الفيّاض على قلمه السيّال.

والحقيقة لولا كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم تكن هذه الرسالة بهذه المنزلة الأدبية، وهذا ماسنثبته في هذا البحث إن شاء الله وقد قسمنا هذا البحث على عدة مباحث سبقتها المقدمة والتمهيد الذي عرضنا فيه نظرة في كلام إبن المقفع.

المبحث الأول: التضمين وقد بينا فيه كيف تأثر أبن المقفع بحكم أمير المؤمنين (عليه السلام) وتضيمنها في كلامه، وفي المبحث الثاني: التلفيق وأوضحنا فيه كيف زاوج إبن المقفع بين حكم ووصايا ورسائل أمير المؤمنين (علي السلام) فينتج منهما نصا آخرى وينسبه لنفسه، وفي المبحث الثالث: البسط، وفيه عمد الى التوسع في كلام الأمام مضيف عليه بعض الشروح البسيطة التي يحاول من خلالها تبسيط المعنى, وفي المبحث الرابع: الإيجاز وهنا عكس المبحث الثالث حاول أبن المقفع فيه حذف بعضا من كلام الإمام بغية الإيجاز، ومن ثم خاتمة البحث وأبرز النتائج وثبت المصادر والمراجع والملخص باللغة الإنكليزية.

التمهيد

نظرة في كلام إبن المقفع ومرجعياته

كثرة النظرات النقدية في أهمية كلام إبن المقفع لما فيه من بلاغة عالية وموضوعات فلسفية مختلفة منها دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية مهمة واروع نتاجته ماتمثل بالأدب الصغير والكبير.

لا تختلف رسالة الأدب الصغير عن رسالة الأدب الكبير في الهدف والمضمون والمنهج، بل ما هي إلاّ صورة مصغّرة لها.

ومن أهم ما في رسالة الأدب الصغير تلك المقدمة التي جاءت كمقدمة الأدب الكبير من الاعتراف بأنّ جانباً كبيراً من الرسالة نُقِل عن أولئك الأشخاص الذين اكتفى ابن المقفع بوصفهم وذكر بعض محامدهم.

وفي هذهِ المرّة لم يصفهم بالقدماء بمعنى أنَّ الحجة الدّاحضة ـ مثلما عرف في الأدب الكبيرـ التي أعتمد عليها من اعتمد في أنّ ابن المقفع كان يقصدُ القدماء الفرسَ لم تكن موجودة هنا.

إذ قال ابن المقفع في الأدب الصغير مؤكداً على تأثرهِ بالصالحين، وتضمين كلامهم: "وقد وضعتُ في هذا الكتاب من كلام الناسِ المحفوظِ حروفًا فيها عونٌ على عمارةِ القلوبِ وصقالها وتجليةِ أبصارها، وإحياءٌ للتفكيرِ وإقامةٌ للتدبير، ودليلٌ على محامدِ الأمور ومكارمِ الأخلاقِ إن شاء اللهُ". وكان لا يرى في الأخذ من هؤلاء والسير على هديهم ضيرا،لأنّهم مصيبون وصالحون وكلامهم حسن مثلهم، بل ذهب إلى ابعد من هذا لمّا عدَّ الأخذ عنهم وحفظ كلامهم يحتاج إلى توفيق وعون وهداية ، وبهذا الأخذ يبلغ الأديب الغاية فقال ، في ذلك: "ومن أخذ كلامًا حَسَنًا من غيرهِ فتكلَّم به في موضعهِ وعلى وجههِ، فلا تزَيَنَّ عليه في ذلك ضؤولةً. فإنّ من أُعين على حفظِ كلام المصيبين، وهُديَ للإقتداء بالصّالحين، وَوُفِّق للأخذِ عنِ الحكماء، ولا عليهِ أنْ لا يزداد، فقد بلغ الغاية.

فإبن المقفع يصرح بأنّه أخذ عن أولئك الحكماء. ويؤكد على أنّ هذا الأخذ تضمينٌ حرفي "من أخذ كلاماً.. فتكلَّم بهِ.. على وجه" أي دون تغيير، مشجّعاً على أخذِ المزيد من هذا الكلام ،لأنّ فيه بلوغ الغاية "ولا عليه أن لا يزداد، فقد بلغَ الغاية". ومهما بلغَ الأديب من الفضلِ والمنزلة فلا يزالُ مديناً لهم، ملتجئاً إلى كلامهم ؛لأنّهم مبدعون مخترعون، ومن جاءَ بعدهم واصفون ناظمون كَمنْ يَجِدُ فصوصاً من الجواهر مُعَدَّة فينظمها ويَضَعُ كُلَّ فُصٍّ موضعه ومثلما هو موجود لم يصرّح ابن المقفع بذكر اسم الشخص أو الأشخاص الذين تأثّرَ بهم، بل اكتفى بتعداد بعض صفاتهم ومنها:

ـ كلامهم حسن ـ صالحون ـ مصيبون ـ حكماء ـ مخترعون ـ مبدعون ـ في كلامهم عمارةَ القلوب وصقالها وتجلية أبصارها ـ فيه إقامة التدبيرـ فيه مكارم الأخلاق.

وهذهِ الصفات هي صفاتٌ إسلامية كانت متوفّرة عند الصفوة من الإسلاميين وأميرُ المؤمنين (عليه السلام) من أهمِّ مصاديقها.

هذهِ هي فحوى مقدمة الأدب الصغير. ولكن الغريب عنها ما صرّحَ بهِ الدكتور محمد مهدي البصير بعد أن عرّفها لنا، إذ قال: "مجموعة عظات ونصائح نقلها المُترجِم عن الفارسية كما ينصُّ على ذلك هو في مقدمتها".

ويرى الباحثان أنَّ في هذا الكلام تقوّلٌ واضحاً على ابن المقفع، إذ إنه لم ينص مطلقاً على أنهُ نقل عن الفارسية ولم يلمح إلى ذلك أيضاً لا من قريب ولا من بعيد، بل كل الذي قاله الرجل ما ذكرناه عنه. وعلى أية حال وبعد عرض ما جاء في رسالة الأدب الصغير على مجموعة واسعة من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وجد الباحثان نصيباً كبيراً من تلك الحروف التي تحدث عنها ابن المقفع للإمام علي(عليه السلام)، الذي توكّأ ابن المقفع كثيراً على كلامه. وبدون مغالاة فإنا لم نجد ولا صفحة واحدة من صفحات الأدب الصغير تخلو من اثر لكلام أمير المؤمنين(عليه السلام) ولكننا سنقتصر على بعض مظاهرها وقد قسمناها على اربعة مباحث:

المبحث الأول: التضمين

ضمن ابن المقفع حكماً كثيرة جداً لأمير المؤمنين (عليه السلام) ولكن هذهِ الحكم العلوية لم يوردها ابن المقفع بمفردها دون أُختٍ لها، أو دون توسع عليها. إلاّ من الندرة النادرة. ومن هذهِ الندرة في الأدب الصغير قول ابن المقفع في باب توصية الملك بالحزم: "الظفر بالحزمِ، والحزمُ بإجالة الرأي بتحصينِ الأسرارِ".

وهذا بنصّهِ من حكمةِ أمير المؤمنين(عليه السلام): "اَلظَّفَرُ بِالْحَزْمِ وَ اَلْحَزْمُ بِإِجَالَةِ اَلرَّأْيِ وَ اَلرَّأْيُ بِتَحْصِينِ اَلْأَسْرَارِ".

إجالة الرأي إعماله، والباءات للإلصاق والاستعانة. وفي الحكمة " يشير الإمام (عليه السلام) بهذا إلى أن التخطيط شرط أساسي للظفر و النجاح ، و إنَّ أيَّ عمل من غير تصميم و تخطيط يذهب سدى ، و ربّما كان ضرراً محضًا . و هذه الحقيقة سمة العصر الحديث ...إنهم يخططون لكل شيء ... حتى الكذب ... له عندهم تخطيط ودراسة. والشرط الأساسي في التخطيط الحزم ، و فسّره الإمام بإجالة الرأي أي بالدراسة العلمية على أن تبقى هذه الدراسة طي الكتمان".

وبفعل تلك الموسوعية الهائلة التي يحملها أمير المؤمنين(عليه السلام) فهو لم يغفل شيئاً لم يوصِ به، حتى المسافة التي ينبغي الإلتزام بها والوقوف عندها بين الجيشين. فمن حكمةٍ له يأمر فيها صاحب الجند بعدم الإبتعاد المفرط ، كما أمره بعدم الإقتراب المفرط من معسكر العدو، فقال: "قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك و لا تفرط في مقاربته فتذل نفسك و ناصرك و تأمل حال الخشبة المنصوبة في الشمس التي إن أملتها زاد ظلها و إن أفرطت في الإمالة نقص الظل".

استعمل أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا التشبيه الرائع في توضيح ما أراد، فقد شبّه المعسكر بالخشبة الشاخصة إن أملتها قليلاً زاد ظلّها؛ لأنّ الشمس تضرب بأشعتها على جانب هذهِ الخشبة فيصبح ظلّها مديداً. ووجه الشبه من هذا هو إذا التزم الجند بالبعد المطلوب من المسافة عن العدو كان لهم ظلاً أكثر ويترتّب على هذا هيبة ووقع أكثر للجيش بسبب عدم معرفة العدو بالعدة والعدد الفعلي لذلك الجيش .

أما لو أفرطت في إمالتها فإنَّ طولها سيتلاشى على الأرض، والشمس تكون عمودية عليها، وظلّها سيكون تحتها لا يستبين منه إلاّ القليل، ولربما يختفي تماماً وستكون الخشبة على

حقيقتها فلا تزداد من الظلِّ أي طولٍ وهذا هو وجه الشبه إذ إنّ الجند لو اقتربوا أكثر من معسكر عدِّوهم ستُعرف مقدرتهم الحقيقية، ولربّما تزول هيبتهم في نفوس عدوّهم بفعل هذهِ المعرفة.

ضمَّن ابن المقفع هذهِ الحكمة في الأدب الصغير مبيّنًا أنّها ليست له فقال: "وكان يقالُ: قاربْ عدوكَ بعض المقاربة، تنل حاجتك، ولا تقاربهُ كل المقاربةِ، فيجترئ عليك عدوك وتذل نفسك ويرغب عنك ناصركَ. ومثل ذلك مثل العود المنصوبِ في الشمسِ، إن أملتهُ قليلاً زاد ظلهُ، وإن جاوزتهُ الحد في إمالتهِ، نقص الظل".

ومن قبيل هذا الإعتراف قال ابن المقفع أيضاً: "وكان يقالُ: عمل الرجلِ فيما يعلم أنه خطأ هوى، والهوى آفةُ العفافِ. وتركهُ العمل بما يعلم أنه صوابٌ تهاونٌ، والتهاونُ آفةُ الدين. وإقدامُهُ على ما لا يدري أصوابٌ هو أم خطأ جماح، والجماح آفة العقلِ".

وهذا الذي قال هو أمير المؤمنين(عليه السلام): "عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ هوى والهوى آفة العفاف و ترك العمل بما يعلم أنه صواب تهاون و التهاون آفة الدين و إقدامه على ما لا يدري أ صواب هو أم خطأ لجاج و اللجاج آفة العقل".

ومن التضمين الذي ورد في الأدب الصغي: " أصل العقل التثبت وثمرته السلامة".

فهذا تضمين لحكمة أمير المؤمنين(عليه السلام): "أصلُ العقل الفِكْرُ وَثَمَرَتُهُ السَّلامة". فلم يبدل ابن المقفع سوى ((الفكر)) بـ ((التثبت)) والأولى خاصة بالعقل وأكثر مواءمة له من الثانيـــة.

المبحث الثاني: التلفيق

كان ابن المقفع كاتبًا حكيمًا تغلب عليهِ الحكمة في كلِّ شيء، وبما إنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) مثلما قال البروفسور فيليب يقوم في التراث الإسلامي مقام سليمان الحكيم ... وله من الحكم والمواعظ عددٌ لا يحصى، فقد وجد ابن المقفع ضالته في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) الحكيمة تلك ، فلفق كثيرا منها. وقد ورد التلفيق في الأدب الصغير مكون من :

1- حكمتين علويتين

ومن هذا قول ابن المقفع في الأدب الصغير: "أحقُّ النّاسِ .. بالفضل أعوَدهم على النّاس بفضله.. وأحقُّهم بالنِّعمِ أشكرهم لما أوتي منها".

فأول كلامهِ الذي أكدّ فيه على أنّ المتفضل على الناس هو أجدرهم بأن يدومَ له ذلك الفضل. وعلة دوام ذلك الفضل هو التفضّل على الناس من السعي في قضاء حوائجهم، والاهتمام بإمورهم لهُ شبه بليغ بجانبَ من حكمةٍ لأمير المؤمنين(عليه السلام) بيّن فيها لجابر بن عبد الله الأنصاري أنّ الله سبحانه وتعالى قد أسبغ نعه على خلقه، فمن أراد لهذهِ النعم الدوام والبقاء عليه أن يقوم بها بما يرضي الله، ويقضي حوائج الناس، وَمنْ لم يفعل هذا عرّض نعمته للزوال فقال: "يَا جَابِرُ مَنْ كَثُرَتْ نِعْمَةُ نِعَمُ اَللَّهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ اَلنَّاسِ إِلَيْهِ فَمَنْ قَامَ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ فِيهَا عَرَّضَ نِعْمَةَ اَللَّهِ لِدَوَامِهَا وَ مَنْ ضَيَّعَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ فِيهَا عَرَّضَ نِعْمَتَهُ لِزَوَالِهَا لِلَّهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَ اَلْبَقَاءِ وَ مَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَ اَلْفَنَاءِ".

أمّا قول ابن المقفع الأخير: "وأحقهم بالنعم أشكرهم لما أوتي منها" فيكاد يكون بنصهِ عن حكمة أميرالمؤمنين (عليه السلام)التي تقول: "وأحقُّ النَّاسِ بِزِيادَةِ النِّعمةِ أشْكَرُهُمْ لَما أُعْطيَ مِنْها". فقوله ((وأحقهم)) أي ((أحقُّ النّاسَ)) مثلما ذكر هو في بداية حديثه، وهذا بنصهِ من أوّل الحكمة ((وأحق الناس))، والباقي بنصهِ سوى أنّ ابن المقفع حذف لفظة ((بزيادة))، وأبدل الفعل الماضي المبني للمجهول ((أُعطيَ)) بآخر مثله معنى وصياغة ((أُوتيَ)).

وبطريقة مماثلة تعامل ابن المقفع مع حكمتين لأمير المؤمنين(عليه السلام) فرَّق بهما بين مودّة الأخيار وبين مودة الأشرارمن حيث الديمومة والرسوخ. فالأولى ثابت أصلها وارف فرعها، والثانية سريع إنقطاعها، فقال في ذلك: " مودَّة ذوي الدِّين بطيئةُ الإنْقِطَاعِ دَائِمةُ الثَباتُ والبَقَاءُ". " مودَّة الحمقى تزول كما يزول السَّرابُ وتَقشَعُ كمَا يَقْشَعُ السَّحاب".

لفق ابن المقفع بين الحكمتين، فقال : "والمودة بين الأخيار سريع اتصالها بطئ الانكسار هين الإصلاح. والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطئ اتصالها، كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث ثم لا وصل له أبداً". فأبدل ابن المقفع ((مودّة ذوي الدين)) بـ ((المودة بين الأخيار))، وأبـــدل ((موّدة الحمقى)) بـ ((المودة بين الأشرار)). وقوله (عليه السلام) :((بطيئة الإنقطاع)) فمثله التام في قول ابن المقفع: ((بطيءُ إنقطاعها)).

أمّا تشبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) لمودة الحمقى وزوالها بالسراب وتقشع السحاب فقد أراد من ذلك وجه الشبه المتمثل بسرعة زوال هذهِ المودّة وتصرّمها ، وابن المقفع اقتنص وجه الشبه هذا فقال: ((سريعٌ إنقطاعها)). وبطريقته التي لا يكاد يفارقها مع كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) وهي التوسع بطرق شتى وهو هنا ضرب مثالاً بعد كُلٍّ من الحكمتين اللتين لفقهما.

ومن نحوهذا أيضاً قول ابن المقفع : "... ومن لا إخوانَ لهُ فلا أهلَ لهُ...، ومن لا عقلَ لهُ فلا دنيا لهُ ولا آخرة".

فمقطعهُ الأول الذي بيّن فيه منزلة الأخوان بنصّهِ من قول الإمام علي (عليه السلام) : "مَنْ لا إخوانَ له لا أهْلَ لَهُ".

وأما الثاني فلا يعدو تقديماً وتأخيراً بين كلمات حكمة الإمام علي (عليه السلام) التي تقول: "مَنْ لم يؤْثِر الآخرةَ على الدُنْيَا فَلاَ عَقْلَ لَهُ" .

وبمثل هذهِ الطريقة تعامل ابن المقفع مع حكمتين آخرتين لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال في الأولى مشفقاً على ولدهِ محمد بن الحنفية من الفقر: "يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ اَلْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ فَإِنَّ اَلْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ" .

قال ابن ميثم: "أمّا كونه منقصةً للدين فللإشتغالِ بهمّهِ وتحصيل قوام البدن عن العبادة، وكونه مدهشةً للعقل: أي محل دهشة العقل وحيرته وضيق الصدر به ظاهر، وكذلك كونه داعية مقت الخلق لصاحبه" .

وقال (عليه السلام) في الثانية : "..وَ مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ وَ مَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَ مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ وَ مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ وَ مَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ اَلنَّارَ..".

لفّقَ ابن المقفع الحكمتين وذلك في حديثه عن الفقر فقال: "والفقرُ داعيةٌ إلى صاحبهِ مقتَ الناسِ، وهو مسلبةٌ للعقلِ والمروءةِ، مذهبةٌ للعلمِ والأدبِ، ومعدنٌ للتهمةِ، ومجمعةٌ للبلايا. ومن نزل به الفقرُ والفاقةُ لم يجد بُدّاً من ترْكِ الحياءِ، ومَنْ ذَهبَ حياؤهُ ذهبَ سرورهُ، ومن ذهبَ سرورهُ مقتَ، ومن مقتَ أو ذي، ومن أوذي خزنَ، ومن حزنَ فقد ذهبَ عقلهُ". فالحكمة التي أمر فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) ولَدهِ بالإستعاذة من الفقرِ بالله العزيز نجد منها عبارات واضحة في كلام ابن المقفع مع تقديم وتأخير، فقول الإمام (عليه السلام):"فإنّ الفقر..داعية للمقت" جعله ابن المقفع في مقدّمة كلامه: " والفقر داعية إلى صاحبه مقتَ النّاس ".

وقوله (عليه السلام): ((مدهشةٌ للعَقلِ)) قال عنه ابن المقفع ((مسلَبةٌ للعقل)) ولفظة ((مدهشة)) أدقُّ في وصف عقل الفقير من((مسلبة))، فالذي يصيبه الفقر يُدهش فكره ويصاب بِحَيرَةٍ من أمرهِ لا يُسلب عقله.

ومثلما عرفنا سلفاً- وكما نعرف لاحقاً -لا تكاد تمرّ حكمة واحدة من حكم أمير المؤمنين(عليه السلام) عند ابن المقفع – إلاّ نادراً جدًّا– دون أن يتوسع عليها، او يقدم لها، أو يفرّع منها ، أو يضرب مثالاً عليها. وهو هنا بعد أن ذكر ما قاله الإمام توسع عليه بقوله : " مذهبةٌ للعلم ومعدن للتهمة ، ومجمعة للبلايا ".

أمّا حكمة الإمام الثانية لا يَقل أثرها عن الأولى من حيث المفردات والمعاني والتركيب. فقوله (عليه السلام): "..، وَمَنْ قلَّ حياؤه قلَّ ورعه" لها صدى بيّن في قول ابن المقفع: " ومَنْ ذهَبَ حياؤه ذهب سروره " وهو في استعماله الفعل (ذهب) بدلاً من الفعل (قلَّ) عادَ إلى المبالغة غير المحمودة لأنَّ مَنْ يفتقر لا يعني أنّ حياءَه قد ذهب، ومثلما أكدّ على ذلك هو ((لم يجد بدّاً من ترك الحياء))، بل الحياء لربَّما يقلُّ إذا افتقر حامله. وعليه لو استعمل الفعل (قلَّ) مثلما وجده عند أمير البيان (عليه السلام) لكانَ أصوب .

أما صياغة الجملة وتركيبها القائم على افتتاحها بـ (مَنْ) واتباعها بفعلٍ ماضٍ ثمّ اختتامها بنتيجةٍ معيّنه كقوله (عليه السلام): " ...ومَنْ قلَّ وَرعُه ماتَ قلبُه" فالجملة مكوّنه من:

من الشرطية + فعل الشرط الماضي عند الطرفين مع فاعله + جواب الشرط وفاعله وهو ماضٍ أيضاً. وهكذا تماماً في قول ابن المقفع ((ومَنْ ذهبَ حياؤه ذَهَبَ سروره)). الاّ أنّه وفي بعض الجمل تخلَّصَ من الفاعلين لأنه جاء بالفعل الماضي مبنيّاً للمجهول كقوله: ((وَمَنْ مَقُتَ فقد أُذي)).

وتجدر الإشارة إلى أنّ التشابه بين كلام ابن المقفع ((ومَنْ نَزَلَ بهِ الفقر إلى قولهِ ذهبَ عقله)) وبين حكمة الإمام الثانية أشار إليه - أيضاً – الدكتور محمد مهدي البصير في قوله : " يخيلُ إليَّ أنّ ابن المقفّع يجاري بكلامه هذا كلاماً بليغاً للإمام علي – ثم ذكر الدكتور الحكمة – ولكن كم بين كلام الإمام علي وهذر ابن المقفع من فرق".

وفي حكم عدة كان أمير المؤمنين (عليه السلام) ينهى عن الإستهانة بالخير واستقلال الصغير والقليل منه، ومن ذلك قوله: "اِفْعَلُوا اَلْخَيْرَ وَ لاَ تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَ قَلِيلَهُ كَثِيرٌ".

وفي حكمةٍ أخرى نهى عن تحقير الخير والشرّ معاً؛ لإنّ الخيرَ وإنْ كان صغيراً فصغيره يسرُّ، والشر وإن كان ضؤولاً فضآلته تضرُّ، فقال: "لا تحقرن شيئا من الخير و إن صغر فإنك إذا رأيته سرك مكانه و لا تحقرن شيئا من الشر و إن صغر فإنك إذا رأيته ساءك مكانه".

نجد مضمون الحكمتين معاً وبعضاً من تراكيبهما في قول ابن المقفع "وعلى العاقل أن لا يستصغر شيئاً من الخطأ في الرأي، والزللِ في العلمِ، والإغفال في الأمور، فإنهُ من استصغر الصغير أوشكَ أن يجمعَ إليه صغيراً وصغيراً، فإن الصغير كبيرٌ.. ولم نر شيئاً قط إلا قد أتي من قبلِ الصغير المتهاونِ به، قد رأينا الملكَ يؤتى من العدو المحتقر به، ورأينا الصحة تؤتى من الداء الذي لا يحفلُ بهِ، ورأينا الأنهار تنبشقُ من الجدول الذي يستخف بهِ".

فنهي الإمام علي (عليه السلام) عن تحقير الشر: " و لا تحقرن شيئا من الشر". لا يختلف عنه رفض ابن المقفع لإستصغار الخطأ والزلل:"لا يستصغر شيئاً من الخطأ".

أمّا قول الإمام علي (عليه السلام): "فإن صغيره كبير" ضمّنه ابن المقفع بتحوير طفيف لما قال : "فإن الصغير كبير".

وكعادته التي يأبى ابن المقفع مفارقتها مع كلام الإمام علي (عليه السلام) إلاّ نادراً . فهو لم يكتفِ بالتضمين، ولا التلفيق وحدهما، بل عمدَ إلى التوسع أيضاً على الحكمة العلوية. ومن طرقه بالتوسع ضرب الأمثال وهي هنا ثلاثة، لكنّها بمعنى واحد تماماً، ومنها قوله: "ورأينا الأنهار تنبثق من الجدول الذي يستخفُّ به". ومعنى المثل:لا تحقروا ولا تستصغروا الصغير النافع لأنّ فيه نتيجة تسرُّ. وبالتالي فإن ابن المقفع قد استوحى هذا المثل تماماً ممّا جاء في الحكمة الثانية : "لا تحقرن شيئا من الخير و إن صغر فإنك إذا رأيته سرك مكانه".

2- وصية وحكمة

فممّا جاء في وصية أمير المؤمنين لولدهِ الحسن (عليهما السلام): " يَا بُنَيَّ اِجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَ اِكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَ لاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَ أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَ اِسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَ اِرْضَ مِنَ اَلنَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ وَ لاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَ إِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ وَ لاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ".

فهو يريد من ولدهِ الحسن (عليه السلام) أن يكون عادلاً بينهُ وبين غيره كما الميزان عادل لا يفضّل إحدى كفّتيهِ على الكفة الأخرى ألا بوزنٍ حقٍّ وقال (عليه السلام) في هذا المعنى: " أعْدلُ السيرَةِ أنْ تُعامِلَ النّاسَ بما تُحِبُّ أنْ يُعامِلوكَ بهِ".

لا يخرجُ قول ابن المقفع: "أعْدلُ السَّيرِ أنْ تقيسَ النّاسَ بنفسكَ، فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أنْ يؤتى إليكَ".عن دائرة النصيين العلويين، فأول قولهِ: ((أعْدلُ السَّيرِ أنْ تقيسَ النّاسَ)) عن كلام الإمام (عليه السلام):

((أعْدلُ السيرَةِ أنْ تُعامِلَ النّاسَ)).

فقد أبدل ابن المقفع ((تعامل)) بـ ((تقيس)). إلاّ أنّ التحوير الذي أجراه ابن المقفع على مفردة ((السيرة)) وحولها إلى ((السير)) لم يكن محموداً بنظر الباحث، كون هناك فرق شاسعٌ بين السيرة التي هي السُّنّة والطريقة، وبين السير الذي هو الذهاب. وبالتالي فإنَّ المعنى عند الطرفين لا تستقيم معه مفردة ((السير)) بقدر بمفردة ((السيرة)).

وباقي كلامه أخذه من الوصية إلاّ أنّهُ حذف منها ((الميزان)) الذي أعطى لوصية الإمام بعداً تصويريّاً جميلا، وذلك لّما طلب من السبط الأكبر(عليهما السلام) أن يكون عادلاً بينه وبين غيرهِ كما الميزان عادل لا يرجح إحدى كفتيه على الأخرى إلاّ بوزنٍ حقٍّ. وكذلك لم نجد في كلام ابن المقفع طرق ومقاييس العدل تلك التي وجدناها في كلام الإمام علي (عليه السلام):

ـ أن تُحب لغيرك ما تحبُّ لنفسك

ـ أن لا تَظْلِم كما تحب أن لا تُظلَم

ـ أن تستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك

وتنبغي الإشارة بعد هذا إلى أن ما جاء في نهاية المقطع المذكور من الوصية : "ولا تقل ما لا تعلم وإن قلَّ ما تعلم". لم يذكره ابن المقفع مع كلامه السابق، بل أخره قليلاً، فقال : "ومن ورع الرجل أنْ لا يقول ما لا يعلم ".

3- حكمتين ورسالة

فمن ذلك نجد أنَّ ابن المقفع قد أتى على مواعظ الإمام التالية:

ـ "وَ مَنِ اِقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ اَلْكَفَافِ فَقَدِ اِنْتَظَمَ اَلرَّاحَةَ وَ تَبَوَّأَ خَفْضَ اَلدَّعَةِ وَ اَلرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ اَلنَّصَبِ وَ مَطِيَّةُ اَلتَّعَبِ".

ـ "مَنْ سألَ فوقَ قَدْرِهِ استَحَقَّ الحِرْمانَ" . "اَلدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ وَ مَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ"

ونظمها في عقد واحد فقال: "اقتصارُ السعي إبقاءٌ للجمامِ، وفي بعد الهمةِ يكون النصب، ومن سأل فوق قدرتهِ استحق الحرمانَ، وسوءُ حملِ الغنى أن يكونَ عند الفرحِ مرحاً، وسوءُ حملِ الفاقةِ أن يكون عند الطلبِ شرهاً، وعارُ الفقر أهونُ من عار الغنى، والحاجةُ مع المحبةِ خيرٌ من الغنى مع البغضةِ.الدنيا دولٌ، فما كان لك منها أتاكَ على ضعفكَ، وما كان عليك لم تدفعهُ بقُوتكَ". فالحكمة الأولى ضمنها ابن المقفع وجعلها في أوّلِ كلامه مع تحويرات طفيفة فقد أبدل ((من اقتصر)) بـ ((اقتصار السعي))، وأبدل ((أنتظم الراحة)) بـ((إبقاء الجمام)) والمعنى واحد تماماً بين النصيين بخاصّة إذا عرفنا الجمام بمعنى الراحة، إلا أنّ ابن المقفع لم يبين إلى أي حدّ ينبغي معه الاقتصار في السعي ،لأنّ الاقتصار قد يصل إلى التقصير، وهذهِ الدرجة سلبية وليست إيجابية، وابن المقفع بهذا حذف محوراً من حكمة الإمام لا غنى عنه لمن أراد الإجادة في هذا المعنى وهو قوله ((الكفاف)). فالذي اقتصر واكتفى بما يكفيه من كدِّ يده ولم يجعل نفسه وجسده يلهثان خلف الدنيا أورث ((الراحة)) أو ((الجمام)).

وفي حال لم يقتصر الساعي على ما يكفيه وانقاد إلى ((الرغبة)) بحسب تعبير الإمام (عليه السلام) والتي حولها ابن المقفع إلى ((بعد الهمة)) فحينئذ تكون النتيجة بإتفاق الطرفين هي ((النصب)) أي التعب الشديد .

وبطبيعة الإمام لم يترك معناه بدون فنٍّ بلاغيٍّ جميل وهو هنا "استعار للرغبة في الدنيا لفظ المفتاح باعتبار فتحه لباب التعب على الرّاغب، وكذلك لفظ المطية باعتبار استلزامها كالمطيّة المُتعِب ركوبها" .

أمّا الحكمة الثانية فلم يغير فيها ابن المقفع إلاّ لفظة ((قدرهِ)) بـ ((قدرته)).وبالنسبة للنص الثالث والذي هو مقطع من رسالة بعث بها أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عبد الله بن عباس، فقد ضمنه ابن المقفع بنصِّه في آخر كلامهِ المذكور.

4- نصوص عدّة متفرقة من العهد

خصَّ ابن المقفع السلطان بنصيبٍ كبير من المواعظ في الأدب الصغير ، وكان يرى إنّ هناك خصال أربع ينبغي على السلطان إحرازها والتوثق منها كيما تدول دولته، وتنفذ كلمته، فقال: "ولايةُ الناسِ بلاءٌ عظيمٌ. وعلى الوالي أربعُ خصالٍ هي أعمدةُ السلطانِ وأركانهُ التي بها يقومُ وعليها يثبتُ: الاجتهادُ في التخيرِ، والمبالغةُ في التقدمِ، والتعهد الشديدُ، والجزاءُ العتيد" .

وبعد أن عدد هذهِ الأركان الأربعة بدأ بتفصيل كُلٍّ منها .وهذه عن بكرة أبيها عن عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) بالنص أو بالمعنى.

فقال ابن المقفع عن التخيّر : "فأما التخيرُ للعمالِ والوزراء فإنهُ نظامُ الأمرِ ووضعُ مؤونةِ البعيد المنتشر... ولعل عُمالَ العاملِ وعمالَ عُمالهِ يبلغونَ عدداً كثيراً، فمن تبين التخيرَ فقد أخذ بسببٍ وثيقٍ، ومن أسس أمرهُ على غيرِ ذلك لم يجدِ لبنائه قواماً " .

فالعمال كثيرون، ولا يمكن استعمالهم بأجمعهم ولكن السبب الوثيق هو تخيّرهم، وهذا كقول أمير المؤمنين(عليه السلام) في عهدهِ للأشتر: " ثُمُّ انْظُرْ في أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ [اِخْتِبَاراً] اِخْتِبَاراً وَ لاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَ أَثَرَةً" .

وهذا التَّخيّر يحتاج إلى توكيد حتى يتم بنجاح0 قال ابن المقفع: "وأما التقديم والتّوكيدُ، فإنّهُ ليس كُلُّ ذي لُبٍّ أو ذي أمانةٍ يعرفُ وجوهَ الأمورِ والأعمالِ" .

فهو يرى هنا أنّ العقل والأمانة غير كافيتين للتعّرف على وجوه الأمور الصحيحة وتأدية الأعمال بشكلها الحسن . وكأنه هنا أراد أن يقول ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد أن أمر بتخيّر العمال أيضًا: "وَ تَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ اَلتَّجْرِبَةِ وَ اَلْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ اَلْبُيُوتَاتِ اَلصَّالِحَةِ وَ اَلْقَدَمِ فِي اَلْإِسْلاَمِ اَلْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً وَ أَصَحُّ أَعْرَاضاً وَ أَقَلُّ فِي اَلْمَطَامِعِ إِشْرَافاً إِشْرَافاً وَ أَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ اَلْأُمُورِ نَظَراً".

وبعد التوكيد قال ابن المقفع عن التّعهُّد: "وأما التعهدُ، فإن الوالي إذا فعلَ ذلكَ كان سميعاً بصيراً، وإن العامل إذا فعل ذلك به كان متحصناً حريزاً". وبعد أسطرٍ معدودات كرّرَ القول مجدداً في التعهد. قائلاً : "ثم على الملوكِ، .. تعاهدُ عمالهم وتفقد أمورِهِمْ".

وهذا الكلام نظيره قول أمير المؤمنين(عليه السلام): " ثُمَّ تفقَّدْ من أُمورِهم ما يتفقَّدُ الوَلَدِان مِنْ وَلَدِهِما ".

فالمعنى واحد بين الكلاميين وهو التأكيد على تعهُّد وتفقُّد الولاة لما في التعهد والمحاسبة من مردود إيجابي على إدارة الدولة ونجاح أعمالها. وليس المعنى هو نقطة الأشتراك الوحيد بين النصوص. بل ثمة هناك جمل علوية نجدها في حديث ابن المقفع . كقول الإمام: ((تفقَّدْ من أُمُورِهم)) وعند ابن المقفع: ((وتفقد أمورِهِمْ)) والفرق أنّ التفقد جاءَ في كلام الإمام (عليه السلام) فعلُ أمرٍ لزيادة التأكيد عليه. بينما جاء عندَ ابن المقفع اسم وهو مبتدأ مؤخر وخبره شبه الجملة ((على الملوك)). ولعله فعل هذا التقديم والتأخير طمعاً في التأكيد أيضاً.

وكقوله (عليه السلام) : ((تعاهدتم)) فالضمير ((الهاء)) هنا عائدٌ على العُمّال أو الأصحاب والميم علامة الجمع. أي تعاهدْتَ عمالك أو اصحابك. وبالتالي لا فرق فيه عن قول ابن المقفع: ((تعاهُدُ عُمّالِهِم)). فتراه عَمَدَ إلى الضمير الذي وَرَدَ في كلام الإمام وأرجعه إلى الأسم الصريح . وما أكثر تعامل ابن المقفع بهذهِ الطريقة مع كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) .

أمّا رابع الأركان السلطانية فهو الجزاء وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقّه فجاء في الأدب الصغير: "وأما الجزاء فإنهُ تثبيتُ المحسنِ والراحةُ من المسيء"0 ثم بعد أسطرٍ قليلة عاد ابن المقفع كرّر هذا المعنى بتفصيلٍ أكثر قائلاً : "ثم عليهم، بعد ذلكَ، أن لا يتركوا محسناً بغيرِ جزاءٍ ولا يقروا مسيئاً ولا عاجزاً على الإساءةِ والعجزِ. فإنهم إن تركوا ذلك، تهاونَ المحسنُ، واجترأ المسيءُ، وفسد الأمرُ، وضاعَ العملُ"0

ومن دون أدنى شكّ فإن هذا الكلام علوي المنبع والأصل ، إذ وردنا عن الدوحة العلوية بطريقين :

الأول: ما رواه أبو هلال العسكري (ت 395) في كتابه الصناعتين وبسندٍ متصل إلى أمير المؤمنين(عليه السلام) ــ سبق أن تحدّث عنه الباحث ــ فقال : "ومن حسن الإتباع أيضاً قول إبراهيم بن العباس حيث كتب: إذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه، وللمسيئ من العقاب ما يقمعه، ازداد المحسن في الإحسان رغبة، وانقاد المسئ للحق رهبة. أخذه من قول عليّ بن أبي طالب (رضى الله عنه) أخبرنا به أبو أحمد، قال أخبرنا أبو بكر الجوهري، قال: أخبرنا أبو يعلى المنقري، قال: أخبرنا العلاء بن الفضل بن جرير قال: قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: يجب على الوالي أن يتعهّد أموره، ويتفقّد أعوانه، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن، ولا إساءة مسيء. ثم لا يترك واحداً منهما بغير جزاء، فإنْ ترك ذلك تهاون المحسن، واجترأ المسيء، وفسد الأمر، وضاع العمل" .

وعليه فإن ما جاء في قولِ ابن المقفع الأخير معتمدٌ اعتماداً كليّاً على قول لإمام المذكور.

الثاني : ما رواه الرضي (رضي الله عنه) في نهج البلاغة . فقد ورَدَ في العهد: "وَ لاَ يَكُونَنَّ اَلْمُحْسِنُ وَ اَلْمُسِي ءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ اَلْإِحْسَانِ فِي اَلْإِحْسَانِ وَ تَدْرِيباً لِأَهْلِ اَلْإِسَاءَةِ وَ أَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ".

نهى (عليه السلام)واليه أن يكون المحسن والمسيء بمنزلةٍ سواء، وسِرُّ ذلك إنَّ أكثرَ فعلِ الإحسان إنّما يكون طلبًا للمجازاة خصوصًا من الولاة . فإن رأى المُحسِنُ مساواة منزلته بمنزلة المسيء انصرف عن الإحسان والجد والإجتهاد إلى الراحة ، وكذلك أكثر التاركين للإساءة إنّما يتركونها خوافاً من الولاة. لا بدافع ذاتي وإيمان باطني بالفضيلة. وابن المقفع حينما إجترحَ أن لا يتركَ المحسن ولا المسيء من دون جزاءٍ يستحقّه سارَ تماماً على نصيحة أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك.

المبحث الثالث : البسط

لقد كان ابن المقفع مولعاً ببسط كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى يمكن عدَّ هذا المظهر من أبين مظاهر تأثر ابن المقفع بكلام الإمام (عليه السلام) ، حيث كان يأتي على الحكمة العلوية فيجعلها في مقدمة كلامه، ثمَّ يتوسَّع فيها كثيراً وكأنه يشرحها ، أو يجعلها منطلقاً لتفرعات عدّة، أو يضرب عليها أمثلة توضيحية. وشواهد هذا كثيرة جدّاً منها قوله: " أفضلُ ما يُورثُ الآباءُ الأبناء، الثناءُ الحسنُ والأدبُ النافعُ والإخوانُ الصالحون".

فصدر كلامه تضمين لحكمة أمير المؤمنين (عليه السلام) : "خَيْرَ مَا وَرَّثَ الآباءُ الأبْنَاءَ الأَدَبُ" .

وأول ما فعله ابن المقفع أبدل اسم التفضيل ((خير)) في حكمة الإمام بإسم تفضيل أيضاً ((أفضل)) ،وهذا الذي هو أفضل إرث يقدمه الأب لإبنه وهو ((الأدب))بحسب تعبير الإمام توسَّع عليه ابن المقفع لما قال: "الثناءُ الحسنُ والأدبُ النافعُ والإخوانُ الصالحون" .

وبطريقة مماثلة تعامل ابن المقفع مع حكمة لأمير المؤمنين(عليه السلام) نهى فيها عن عيب معيب متمثِّل بخفاء عيوب المرء على نفسه، فقال: "مِنْ أشدِّ عُيُوبِ المَرْءِ أنْ تخفَى عَلَيْهِ عُيُوبُه" .

ضمن ابن المقفع هذهِ الحكمة ، ثمَّ توسَّع عليها ، فقال: "من أشد عيوبِ الإنسانِ خفاءً عيوبهُ عليه. فإن من خفي عليه عيبه خفيت عليه محاسنُ غيره، ومن خفي عليه عيبُ نفسه ومحاسنُ غيرهِ فلن يقلعَ عن عيبهِ الذي لا يعرفُ ولن ينال محاسنَ غيرهِ التي لا يبصرُ أبداً " .

فعسى أن لا يكون ابن المقفع قد تكلّف في تغييراته التي أجراها على الحكمة وبخاصة لمّا أبْدَلَ ((المرء)) بـ ((الإنسان)). ولما أبدلَ المصدر المؤول في كلام الإمام ((أن تخفى)) والذي هو في محل تقدير خفاء بـ ((خفاءً)). ثمَّ ما أجراه من تقديم وتأخير على ذيل الحكمة ((عليه عيوبه)) ليجعله ((عيوبه عليه)) ثمّ بعد ذلك انطلق من الحكمة المذكورة ليبيّن إنّ مَنْ لا يستطيع تحديد عيبه طبيعي لا يتمكن من معرفة محاسن غيره، ومَنْ كان هكذا، لا إصلاح ذاتي ولا تأثر خارجي فسيكون بؤرة للعيوب .

ومن شدّة تأثرهِ بكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) فعل كما فعل في الأدب الكبير إذ جعل ابن المقفع مسكَ ختام الأدب الصغير حكمةً علوية جاءَ فيها : "لا يزال المرء مستمرا ما لم يعثر فإذا عثر مرة لج به العثار و لو كان في جدد".

الجدد يعني الأرض المستوية.

فإن كان ابن المقفع قد ضمّن الحكمتين السالفتين دون الإشارة إلى أنَّها ليست له، فهو هنا ضمن الحكمة المذكورة، ثم توسّعَ عليها، مشيراً إلى أنّها ليست لـه فقـال: "لا يزال الرجلُ مستمراً ما لم يعثر، فإذا عثر مرة واحدةً في أرضِ الخبارِ لج بهِ العثارُ، وإن مشى في جدد لأن هذا الإنسان موكلٌ به البلاءُ، فلا يزالُ في تصرفٍ وفي تقلبٍ لا يدومُ له شيءٌ ولا يثبت معهُ، كما لا يدومُ لطالعِ النجومِ طلوعُهُ ولا لآفلها أفولهُ. ولكنها في تقلبٍ وتعاقُبٍ: فلا يزال الطالعُ يكُونُ آفلاً طالعاً" .

وبعد أن ضمن الحكمة علل ابن المقفع ما ورد فيها ، وذلك لما أكّدَ على أنّ الإنسان غرض للبلاء ومن البلاء أنّه لا يقرُّ على حالةٍ واحدة، بل هو في انقضاء وتقلب من حالٍ إلى آخر مثل النجوم: فلا طالعها يبقى طالعاً ولا آفلها يبقى آفلاً. وبهذا التعليل ــ الذي يفوق الحكمة حجماً ــ يكمن البسط الذي أجراه ابن المقفع على حكمة أمير المؤمنين(عليه السلام) .

ومن تلك المواعظ العلوية التي تردد صداها عند ابن المقفع وبطريقة البسط ما جاء في كتابٍ لأمير المؤمنين (عليه لسلام) بعثه إلى عبد الله بن عبّاس ، قـال فيـه : "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اَلْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَ يَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ وَ لْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا وَ مَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلاَ تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً وَ مَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً وَ لْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ اَلْمَوْتِ " .

وقد قال ابن عبّاس عن هذهِ الحكمة : "ما انتفعت بكلامٍ بعد كلام رسول الله (ﷺ) كانتفاعي بهذا الكلام" .

وحاصل كلامه (عليه السلام) النهي عن شدَّة الفرح بما يحصل من المطالب الدنيوية وأشار إلى هذا بقوله: ((إنّ المرء إلى قوله ليدركه)) وهو خبر في معنى النهي، كما نهى أيضاً عن شدة الأسف على ما يفوت من تلك المطالب، ولفظ (ما) في الموضعين يراد به المطالب الدنيوية.

اعتمد ابن المقفع على هذا المعنى وبعض ألفاظه ، فقال: "وعلى العاقلِ أن لا يحزن على شيءٍ فاتهُ من الدنيا أو تولى، وأن ينزلَ ما أصابهُ من ذلك ثم انقطعَ عنهُ منزلةَ ما لم يصب، وينزل ما طلبَ من ذلك ثم لم يدركهُ منزلة ما لم يطلب، ولا يدع حظهُ من السرورِ بما أقبل منها، ولا يبلغنّ ذلك سُكراً ولا طغياناً، فإن مع السكر النسيانَ، ومع الطغيانِ التهاونَ، ومن نسي وتهاون خسر" .

فقد أجرى ابن المقفع عدّة تحويرات على كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) المذكورة وأولها التقديم والتأخير . فما ختم به الإمام رسالته : "وَ مَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً" ، جعله ابن المقفع أولاً : "أن لا يحزن على شيءٍ فاته من الدنيا أوتولى" .

ولم يكتفِ ابن المقفع بأن قدم وأخر بل عمد ــ في الفقرة المذكورة ــ إلى المقطع نفسه وقدم وآخّر فيه أيضاً فقول الإمام: ((وما فاتك منها)) أي الدنيا أخّره ابن المقفع فقال: ((فاته من الدنيا)). وأمّا قوله (عليه السلام): ((فلا تأس)) قدّمه ابن المقفع وأبدله بـ ((لا تحزن)) .

ثم زاد على المقطع العلوي لفظة واحدة وهي((تولّى)) ولعلها تشير إلى ما كان بحيازة الفرد ثم فُقِدَ، أما ((فات)) فمعناه ما يمّر على الإنسان من خيرات الدنيا دونما يدرك منه الإنسان شيئاً.

وقبل هذا المقطع وجدنا الإمام قد قال: "وَ مَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلاَ تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً" ومعناه واضح : لا تكثروا السرور بما أقبل عليكم من دنياكم . وهذا لم يقدمه ابن المقفع بل بسطه بسطاً واضحاً لما قال: "ولا يدع حظهُ من السرورِ بما أقبل منها، ولا يبلغن ذلك سُكراً ولا طغياناً، فإن مع السكر النسيانَ، ومع الطغيانِ التهاونَ، ومن نسي

وتهاون خسر". فقبل أن يتوسع على المقطع العلوي المذكور ضمّن ابن المقفع كلماته كلمة كلمة ولكن بتغيير ترتيبها وثوبها فقط ، إذ حافظ على أصل المعنى تماما كمحافظته على الصياغة ايضا وذلك لما أبدل :

الاسم ((الفرح)) بـ الاسم ((سرور))

وما الموصولة والفعل((ما نلت)) بما الموصولة والفعل((ما أقبل))

وشبه الجملة ((من دنياك)) بشبه الجملة ((منها)) .

وهنا انكشف تلاعب ابن المقفع أكثر فقبل قليل ـ في هذهِ الحكمة ـ لما وجد الإمام قال:((منها))قال هو:((من الدنيا)) وهنا قال الإمام: ((من دنياك)) فقال هو: ((منها)) .

والحرف ولا الناهية والفعل المضارع ((فلا تكثر)) بالحرف ولا الناهية والفعل المضارع ((ولا يبلغنَّ))

و(به) بـ (ذلك) وهما معاً إشارة إلى ما أقبل من خيرات الدنيا .

وبعد هذهِ التغيرات الشكلية توسع ابن المقفع بما هو مذكور، وذلك لما نهى عن وصول الفرح إلى درجة شديدة أسماها بالسكر والطغيان ، عادّا الأوّل يجرُّ إلى النسيان والثاني يجرُّ إلى الطغيان ، وهما معاً يورثان الخسران .

ويبدو أنّ ابن المقفع قد أطال النظر في رسالة أمير المؤمنين (عليه السلام) هذهِ، إذ لم يهمل منها جانباً، وفي الوقت نفسه لم يترك ما أخذه من دون تغيير شكلي بحت ، ففضلاً عمّا ذكر بقيت تراكيب وألفاظ في الرسالة لم يفرط ابن المقفع بها ، بل غيّر ثوبه ، فقد أبدل((ليدركه)) وهو بمعنى يصيبه بـ ((أصابه))، وأبدل ((ليفوته)) بـ ((إنقطع عنه)). ومثلما وجد أمير المؤمنين (عليه السلام) قد استعمل التركيب ((مالم + فعل مضارع)) مرتين استعمله هو مرتين ايضاً وذلك لما قال : ((ما لم يصيب)) و ((ما لم يطلب)) .

وما أن انتهى ابن المقفع من الرسالة العلوية السالفة اتجه بعدها إلى جانب من وصية لأمير المؤمنين(عليه السلام) رواها الطوسي بسندٍ تام إلى أمير المؤمنين لولدهِ الحسن (عليهما السلام) منها: "يا بنيَّ للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بين نفسه ولذّتها فيما يَحلُّ ويجمل وليس للمؤمن بدٌّ من أن يكون شاخصاً في ثلاث: مرّمة لمعاشه، أو خطوة لمعاد، أو لذةٍ في غير محرّم" .

وهذا التقسيم الجامع بين الدين والدنيا، والمانع من تشتيت الوقت الذي يمّكن عدّه أفضل منهاج عملٍ للمرء العاقل ، ضمّنه ابن المقفع بطريقته المفضلة القائمة على التوسع ، فقال: "على العاقل، ما لم يكن مغلوباً على نفسه، أن لا يشغلهُ شغلٌ عن أربعِ ساعاتٍ: ساعةٍ يرفعُ فيها حاجتهُ إلى ربهِ، وساعةٍ يحاسبُ فيها نفسهُ، وساعةٍ يفضي فيها إلى إخوانهِ وثقاته الذين يصدقونه عن غيوبهِ ويصونوهُ في أمرهِ، وساعةٍ يُخلي فيها بين نفسهِ وبين لذتها مما يحل ويجملُ، فإن هذه الساعةَ عونٌ على الساعات الأخرِ، وإنّ استجمام القلوبِ وتوديعها زيادةُ قوةٍ لها وفضل بلغةٍ.وعلى العاقلِ أن لا يكونَ راغباً إلا في إحدى ثلاثٍ: تزودٍ لمعادٍ، أو مرمةٍ لمعاشٍ، أو لذةٍ في غير محرمٍ " .

فأول الزيادات إن ابن المقفع جعل الساعات أربعاً بدلاً من ثلاث مع تغيير على الأولى فقط.

فالساعة الأولى التي وجه الإمام علي (عليه السلام) إلى أن تكون لمناجاة الله ـ سبحانه وتعالى ـ حوّرَ فيها ابن المقفع تحويراً لم يكن ممدوحاً وذلك لما عدها لرفع الحاجة ؛ فكأنّه إذا لم تكن حاجة إلى الله ـ تعالى ـ فإنّ ساعة الإتصال بهِ ستنتفي أي بإنتفاء سببها ، وهذا النوع من العبادة أسماها أمير المؤمنين(عليه السلام) بعبادة التّجار لما قال : "إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجّار.." .

أما الساعة الثانية عند ابن المقفع فهي ساعة الإمام علي (عليه السلام) الثانية بنصّها، وهنا ابن المقفع وجد مجالاً ليزيد الساعة التي دعا فيها إلى الإفضاء إلى الإخوان والأصدقاء. وبالنسبة للساعة الرابعة فهي تضمين لساعة أمير المؤمنين(عليه السلام) الثالثة ، وفيها أيضاً يكمن التوسع الآخر الذي قام بهِ ابن المقفع وذلك لما عدّ هذه الساعة مميّزة ، فهي عنده عون على الساعات الآخر لما فيها من راحة للقلوب واطمئنان لها .

وبهذهِ الطريقة المميزة والغريبة ـ القائمة على تجزئة الحكمة والتوسع عليها ـ تعامل ابن المقفع مع الحكمة العلوية التي تقول : " مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَ لْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ وَ مُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَ مُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ اَلنَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمْ".

فقد أوردها بتمامها في الأدب الصغير، فقال : " ومن نصبَ نفسهُ للناسِ إماماً في الدينِ، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمةِ والرأي واللفظ والأخذانِ، فيكن تعليمهُ بسيرته أبلغَ من تعليمه بلسانهِ. فإنه كما أن كلام الحكمةِ يونقُ الأسماعَ، فكذلكَ عملُ الحكمةِ يروقُ العيونَ والقلوبَ. ومعلمُ نفسه ومؤدبها أحق بالإجلالِ والتفضيلِ من معلمِ الناسِ ومؤدبهم" .

ومثلما بانَ فإنّ ابن المقفع قد جعل الحكمة ثلاثة مقاطع يفصل المقطع عن أخيه بزيادة معينة .

فـأوّل كـلامــه : " من نصبَ نفسهُ للناسِ إماماً في الدين"
بنصه عن الحكمة:" مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً"

غير إنّ ابن المقفع زاد عليها شبه الجملة ((في الدين))، وهذهِ الزيادة لم تكن موفّقة؛ لأنّها ضيّقت دلالة هذا المعنى الجميل وحصرته بأئمة الدين فقط . فإمام الدين في نظر ابن المقفع هو وحده من يبدأ بتعليم نفسه ثمّ يعلّم الآخرين. بينما أمير المؤمنين(عليه السلام) ذكر كلمة ((إماماً)) دون أن يقرنها بعمل معيّن، أو بتخصّص ما، بل جعلها مفتوحة الدلالة ؛ لأنّه أراد لكلّ إمام ــ في أيّ مكانٍ حلّ وأيّ عملٍ في الدين أو غيره ــ أنْ يكون قدوةً يُقتدى بهِ من خلال تعليم نفسه أوّلاً ، ثمَّ تعليم غير تعليماً صائباً ثانياً. ومن البسط أيضاً على هذهِ الفقرة من الحكمة أنْ بيّن ابن المقفع بعض الطرق التي يمكن للإمام أنْ يكون قدوة فيها كتقويم النفس " في السيرة والطّعمة والرأي واللفظ والأخدان" .

وبعد هذا البسط عادَ للحكمة ثانيةً ليضمن منها قول الإمام (عليه السلام) : " وَ لْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ" وبتحوير أقل من القليل: "فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من أنَّ تعليمه بلسانه" .

ثم بسط هذا أيضاً ، وذلك لمّا ضرب مثلاً توضيحيّاً على أنَّ التعليم بالفعل أبلغ أثراً من التعليم بالقول : "فإنّه كما أنّ كلام الحكمة مفاده إذا كان قول الحكمة يعجب الأسماع؛ فإنّ فعلها يستهوي القلوب .

ثم عادَ ثالثة إلى الحكمة ليضمّن ما تبقى منها حرفيّاً ، ويختم به كلامه .

وهكذا كان ابن المقفع يتخيّر ما شاء من حكم أمير البيان(عليه السلام) ، ويتوسَّع عليها بما شاء. وهذهِ المرّة أتى على جانب من حكمة للإمام علي (عليه السلام) ــ أوصى بها كميل بن زياد ــ جاء فيه: " يَا كُمَيْلُ اَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ اَلْمَالِ اَلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَ أَنْتَ تَحْرُسُ اَلْمَالَ وَ اَلْمَالُ تَنْقُصُهُ اَلنَّفَقَةُ وَ اَلْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى اَلْإِنْفَاقِ وَ صَنِيعُ اَلْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ اَلْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ بِهِ يَكْسِبُ اَلْإِنْسَانُ اَلطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَ جَمِيلَ اَلْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَ اَلْعِلْمُ حَاكِمٌ وَ اَلْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ" .

فَضَّلَ الإمام علي(عليه السلام) العلم على المال، وقد برّر ذلك بتبريرات عدة: فالعلم يحرس حامله في حياته ويطيب ذكره بعد وفاته، بينما المال عاجز عن حراسة نفسه فيحتاج إلى مَنْ يحرسه ، والعلم يزداد نماءً وسعة إذا أُنفق ، بينما المال ينقص بقدر الإنفاق منه.

فهذهِ المعاني وبعض ألفاظها وإن كان ابن المقفع قد قدّم وأخر وحوّر فيها إلاّ أنّها تبقى روح قوله: " القسم الذي يقسمُ للناس ويمتعونَ به نحوان: فمنهُ حارسٌ ومنهُ محروس، فالحارسُ العقلُ، والمحروس المالُ، والعقلُ، بإذن اللهِ، هو الذي يحرزُ الحظ، ويؤنسُ الغربةَ، وينفي الفاقةَ، ويعرفُ النكرة، ويثمرُ المسبكبة، ويطيبُ الثمرةَ، ويوجهُ السوقةَ عند السلطانِ، ويستنزلُ للسلطانِ نصيحةَ السوقةِ، ويكسبُ الصديقَ، ويكفي العدو".

فالقَسْم مصدر قَسَمَ الشيءَ يقسمه قسمًا، وقسَّمه جزّأه، والقَسْم النصيب والحظ، وهو مثلما رآه ابن المقفع قسمان : منهُ ((حارس)) يحرُسُ غيره وهو العقل ((فالحارسُ العقلُ)) . وهذا عن كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((العلم يحرسك)) .

ومنه ((محروس)) وهو المال((والمحروس المال)) بمعنى المال يحتاج إلى من يحرسه وهذا عن كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) : ((وأنت تحرس المال)) .

غير أنّ إبن المقفع عمل طفيفاً حين أبدل الأفعال التي جاءت في كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) بالمفاعيل:

يحرُس ـــــــــــــ حارس "اسم فاعل" .

تحرُس ـــــــــــــ محروس " اسم مفعول" .

ولمّا أبدل أيضاً ((العلم)) بـ ((العقل)) بإعتبار العقل وعاء العلم ، ثم أخذ يعدد محامد العقل ، وقد جعل لها نصيباً يمثل أكثر من نصف كلامهِ : "والعقل بإذن الله ، هو الذي يحرز الحظ ويؤنس الغربة، ويفني الفاقة ويثمر المكسبة .. إلى آخر قوله". وهذا هو مكمن التوسع الذي أجراه ابن المقفع على ما ذكره الإمام علي (عليه السلام) من محامد العلم: " مَعْرِفَةُ اَلْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ بِهِ يَكْسِبُ اَلْإِنْسَانُ اَلطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَ جَمِيلَ اَلْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ " 0

وأما ما جاء في آخر حكمة الإمام (عليه السلام) " وَ اَلْعِلْمُ حَاكِمٌ وَ اَلْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ" فقد قدمّه ابن المقفع إلى صدر حديثه لما قال : " فمنه حارِس، ومنه محروس" .

المبحث الرابع: الإيجاز

لقد وردت بعض الحكم العلوية بشكل موجزٍ في الأدب الصغير كورودها في الأدب الكبير، أي قليلة جدّاً . ومنها قوله (عليه السلام) " اِعْقِلُوا اَلْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لاَ عَقْلَ رِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ اَلْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رُعَاتَهُ قَلِيلٌ" .

فهو ينهى عن كثرة رواية الكلام بدون هضمه ، ويأمر بعقل الخبر عقل معرفة، مؤكّداً على أنّ من يُراعي العلم ويتدبره قليل.

نظر ابن المقفع إلى الفقرة الثانية من الحكمة وأوجزها بصدر قوله : " الواصفون أكثرُ من العارفين، والعارفون أكثرُ من الفاعلينَ" .

فقول ابن المقفع : ((الواصفون)) وهم مكثروا الكلام إيجاز لكلام الإمام (عليه السلام) : ((رواة العلم)) .وهؤلاء إستعمل لهم الإمام صيغة المبالغة ((كثير)) للدلالة على كثرتهم ، وهكذا ابن المقفع فقد استعمل لهم اسم التفضيل ((أكثر)) للدلالة على كثرتهم أيضاً . أمّا ((العارفون)) وهم الذين عرفوا وهضموا ما يتكلمون ، ففيه إيجاز لكلام الإمام (عليه السلام) : ((رعاة العلم)) وهم الذين حملوا العلم حمل معرفة وتفكر وهؤلاء ((قليل)) بحسب وصف الإمام (عليه السلام) لهم ، وبحسب وصف ابن المقفع هم أقل على اعتبار إنّ الواصفين أكثر منهم فهم إذاً أقلُّ من الواصفين .

وقال الإمام علي في وصيته لولدهِ الحسن (عليهما السلام) : " اِعْلَمْ أَنَّ اَلْإِعْجَابَ ضِدُّ اَلصّوَابِ وَ آفَةُ اَلْأَلْبَابِ" .

فنهي الإمام علي (عليه السلام) هذا عن الإعجاب والذي يعني استحسان الفرد لعمله مطلقاً، وهو من أعظم الأخلاق مصيبة ومن اشد الآفات ضرراً على معتقدهِ ضمّنه ابن المقفع بشكل موجز فقال : " العُجبُ آفةُ العقلِ" .

فإبن المقفع هنا ـ كعادتهِ مع كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ غيّر شكليّاً لما أبدل ((الإعجاب)) بـ ((العجب)) ولمّا حوّل ((الألباب)) إلى مرادفها ((العقل)) .وعلى الرغم من إنّ المعنى واحد والكلمات هي هيَ إلاّ أنّ ابن المقفع بإيجازه هذا ضيّع ذلك التناغم الصوتي والوقع المحبّب المتأتّي من سجع الألفاظ ((الإعجاب ـ الصواب ـ الألباب)) .

وللمودّةِ نصيبٌ في وصايا الوصيّ (عليه السلام) ، فقد عدّها أي المودّة غنيّةً عن القرابة والقرابة فقيرةُ إليها . وأكد هذا في غير ما حكمةٍ من حكمه ، ومنها قوله : "...وَ اَلْقَرَابَةُ إِلَى اَلْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ إِلَى اَلْمَوَدَّةِ مِنَ اَلْمَوَدَّةِ إِلَى اَلْقَرَابَةِ".

أوجز ابن المقفع هذهِ الحكمة بوضوح فقال : "والقرابةُ تَبَعٌ للمودّة " ولكن لا أرى في حكمة ابن المقفع تلك الدقة العلوية . نعم فالقرابة تحتاج إلى المودّة ـ مثلما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ كي تثمر وتترسخ، ولكن ليست القرابة تبع للمودّة مثلما قال ابن المقفع ، فالمودة لا تؤثر بالقرابة ، لأن القرابة تبع للنسب ، بل تأثيرها ينحصر على العلاقة ودوامها.

هذا ما عثرنا عليه من إيجاز لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الأدب الصغير، وهو بهذا قد ورد تماماً كورودهِ في الأدب الكبير أي قليل جدّاً ، بينما البسط على العكس من ذلك إذ ورد في الأدبين بكثرة حتى إنَّ ابن المقفع بنفسه قد أشار إلى ذلك . ونرى إنّ السبب الذي يقف وراء هذه الظاهرة عائدٌ لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فهو كلام مكتنز على صعيد المعنى ، ومنظوم نظمًا خاصّاً ، وبالتّالي فإنّ إيجازه غير ممكن لأنّ الأخير ـ الإيجاز ـ يستوجب الحذف ، ولا يوجد في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يمكن حذفه دون أن يحدث خلاً ما في النص . ولكن غزارة المعنى ودقّة الصياغة هذهِ في كلامهِ (عليه السلام) استوجبت ـ من اجل أن يفهم النص العلوي أكثر ـ الزيادة وهذا ما أدركه ابن المقفع فتوسع في كلام الإمام علي (عليه السلام) كثيراً . ولهذا السبب أيضاً كثُر شرح كلام الإمام علي (عليه السلام) لا سيما ما جُمِع منه في نهج البلاغة .

وبعد هذهِ نعود للأدب الصغير لنبيّن ـ تبياناً هاماً ـ إن من هذهِ الحروف أو كلام الصالحين الذي تحدّث عنه ابن المقفع وأقرَّ بتأثرهِ بهِ عائد للرسول الأكرم (ﷺ) . فمن وصية له أوصى بها الإمام علي (عليه السلام) منها: " يا عليُّ إنّه ..لا عَقْلَ كالتَّدْبِيرِ، وَلاَ حَسَبَ كَحُسنِ الخُلُق 00"

ضمّن ابن المقفع هذهِ المقطع من الوصية قائلاً : "وسمعت العلماء قالوا: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسبَ كحسنِ الخلقِ " 0

ومن هذهِ الحروف عائد للإمام السجاد ، فوصّيتهِ التي أوصى بها هشام بن الحكم : " يا هِشامُ إنَّ العاقِلَ لا يُحدِّثَ مَنْ يخافُ تكذيبَهُ، ولا يسألُ من يخافُ مَنَعَهُ، ولا يَعِدُ ما لا يَقْدِرَ عَلَيهِ، ولا يرجو ما يُعنّفَ برجائهِ، ولا يَقدُمُ على ما يخافُ فوتهُ بالعجْز عَنْهُ".

نجد لها حيّزاً في الأدب الصغير : "لا تجدُ العاقلَ يُحدثُ من يخافُ تكذيبهُ، ولا يسألُ من يخافُ منعهُ، ولا يعدُ بما لا يجدُ إنجازهُ، ولا يرجو ما يعنفُ برجائهِ، ولا يقدُمُ على من يخافُ العجزَ عنهُ00 ".

ومنها عائد للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فحكمته : "العاقل لا يستخف بأحد.وأحق من لا يستخف به ثلاثة: العلماء، والسلطان والإخوان، لأنه من استخف بالعلماء أفسد دينه، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، ومن استخف بالاخوان أفسد مروته "

نجدها في الأدب الصغير بتحوير طفيف : " لا يستخفُ ذو العقلِ بأحدٍ. وأحق من لم يستخف به ثلاثةٌ: الأتقياءُ والولاةُ والإخوانُ، فإنهُ من استخف بالأتقياء أهلك دينهُ، ومن استخف بالولاةِ أهلك دنياهُ، ومن استخف بالإخوانِ أفسد مروءتهُ "

وفي حكمة أخرى قال الصادق (عليه السلام): " إذا هَمَمْتَ بِخيْرٍ فَبَادِر، فإنَّكَ لا تدري"

فهذا الكلام الذي عُدَّ جامعاً لوجوه المبادرة إلى فعل الخير قبل أن يحول حائل دون ذلك كالهرم المستلزم لضعف العقل والنية، والمرض، وفجأة الموت، ووسوسة الشيطان وغيرها، ضمّنه ابن المقفع، ثمَّ توسّع عليه، فقال: "إذا هممت بخيرٍ فبادر هواكَ، لا يغلبك، وإذا هممتَ بشرٍ فسوف هواك لعلك تظفرُ. فإن ما مضى من الأيامِ والساعاتِ على ذلك هو الغنمُ "، ومن شدة تأثر ابن المقفع بهذا الكلام عاد وكرّرهُ بمعناه، فقال: " اغتنم من الخير ما تعجلت، ومن الأهواء ما سوفت ".

وما دام ورد ذكر إمامنا الصادق (عليه السلام) فلا بُدَّ من معرفة إنّ ابن المقفع كان يجّلهُ ويقدسّهُ (عليه السلام) ففي خبر طويل ــ وبسند متّصل ــ ذكرهُ الشيخان الكليني ، والصدوق منه:" إنّ ابن المقفع رأى الصادق (عليه السلام) في الكعبة وهي مزدحمة بالحجاج فقال: " ترون هذا الخلق ــ وأومأ بيدهِ إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له إسم الإنسانية إلاّ ذلك الشيخ الجالس ــ يعني أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام)- فأمّا الباقون فرعاع وبهائم".

وعلى أيّةِ حال ، فإنّ الذي يهمنا هنا أكثر من غيره هو أنّ في هذهِ التأثيرات بأئمة الهدى وبجدهم المصطفى، دليل تأكيد آخر على إسلامية الأشخاص الذين تأثر بهم ابن المقفع وأطرى عليهم في مقدمتي الأدبين الكبير والصغير لا على أنّهم فرس أو يونانيّون.

الخاتمة وأبرز نتائج البحث

بحمد الله ومنه وبعد هذه الرحلة الشيقة في كلام سيد البلغاء وأحكم الحكماء أميرالمؤمنين (عليه السلام) الذي رفد البلاغة العربية بعمق معانيه ،ودقة ألفاظه، وقوة سبكه مما جعله منبعا ثرا تستقي منه الكتاب والفلاسفة وعلماء اللغة على مدى العصور فكان أثره واضح جدا في كلامهم فما كان من حكم ووصايا ورسائل وما فيها من روعة التعبير إلا صورة أخرى لكلام الإمام (عليه السلام) وكان تأثيره أما بألفاظه وأما بمعانيه أو بكليهما معا ومن هؤلاء الكتاب الذين ظهر عليهم أثر كلام أمير (المؤمنين عليه) إبن المقفع فحينما تمعنا في دراسة مستفيضة في كلام ابن المقفع وجدنا أثر كلام الإمام في نتاجه واضح جدا حينما وقع اختيارناعلى رسالة الأدب الصغير توصلنا الى عدة نتائج وهي على النحو الأتي:

1- إن تأثر إبن المقفع في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) كبير جدا فنلاحظ أن جل كلامه لا يخلو من تطعيم كلامه بكلام الإمام سواء أكان هذا الأخذ من الحكم او الرسائل او الوصايا فكان يضمن كلامه بكلام الإمام وفي بعض الأحيان يعمد الى التلفيق والتوسع والحذف .

2- ان تأثر أبن المقفع بكلام الإمام وصل في بعض الأحيان الى حد التطابق فكان يأخذ الكلام بالنص وينسبه لنفسه وفي بعض المواضع كان يشير الى صفات الشخص الذي أخذ منه دون التصريح بشخصه ولعل هذا من باب التوريه فكان لايستطيع الإفصاح عن إسم الإمام خشية الحكام أنذاك فبغض الأمويين للإمام وسبه على المنابر ربما كان السبب الذي حدى بأبن المقفع الى إخفاء إسم الإمام ربما من باب التقية ،ولعله أراد لأفكارالإمام وحكمه أن تشتهر فيستفيد منه الناس فكان همه إيصال الرسالة الدينية والفكرية والسياية والإقتصادية التي أراد الإمام نشرها بين الناس للإفادة منها.

3- من خلال إستقرآؤنا لكلام إبن المقفع نجزم بأن تأثر إبن المقفع كان محصورا بأمير المؤمنين (عليه السلام)فقط وبذا ندحض رأي بعض النقاد الذي أرجع قوة كلام إبن المقفع لتأثره بثقافات الأمم الأخرى كالفرس واليونان وهذا الرأي خاطيء بدليلين : الأول هو وصف إبن المقفع نفسه لمن أخذ منه في مقدمة رسائله وصفاته

التي أوردها تنطبق على الإمام فالوضوعات والصفات إسلامية تتلأم مع شخصية الإمام علي (عليه السلام) ولايمكن أن تعود لكلام فارسي أو يوناني قديم لأن الأفكار والمعتقدات لاتمثل تلك الديانات والثقافات.
وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ونتأمل منه التوفيق والصواب.

هوامش البحث

1- الأدب الصغير والأدب الكبير 15
2- م 0 ن 13
3- ينظر : الأدب الصغير والأدب الكبير 12 – 13
4- الأدب العباسي 16
5- الأدب الصغير والأدب الكبير 53
6- نهج البلاغة 561
7- ينظر : شرح ابن ميثم 5/ 408
8- ينظر : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة19 /240
9- في ظلال نهج البلاغة 4/ 140
10- شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد 20 / 487
11- الأدب الصغير والأدب الكبير 52
12- م 0 ن 43
13- شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد 20 / 451 – 452
14- الأدب الصغير والأدب الكبير 45
15- غرر الحكم ودرر الكلم 198
17- ينظر: وعَّاظ السلاطين 183
18- الأدب الصغير والأدب الكبير 33 - 340
19- نهج البلاغة 620
20- غرر الحكم ودرر الكلم 359
21- غرر الحكم ودرر الكلم 707
22- م 0 ن 708 – 709
23- الأدب الصغير والأدب الكبير 54
24- م 0 ن 55
25- غرر الحكم ودرر الكلم 636
26- م 0 ن 651
27- نهج البلاغة 610
28- شرح نهج البلاغة لأبن ميثم 50 / 4770
29- نهج البلاغة 641
30- الأدب الصغير والأدب الكبير 55 – 56
31- في الأدب العباسي 20 (الهامش)
32- نهج البلاغة 629
33- شرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد 20 /420
34- الأدب الكبير والأدب الصغير 23
35- نهج البلاغة 462 – 463
36- غرر الحكم ودرر الكلم 203
37- الأدب الصغير والأدب الكبير 40
38- ينظر: تاج العروس مادة (سير)

39- ينظر لسان العرب مادة (سير)
40- الأدب الصغير والأدب الكبير 43
41- نهج البلاغة 619
42- غرر الحكم ودرر الكلم 624
43- نهج البلاغة 542
44- الأدب الصغير والأدب الكبير26
45- ينظر : لسان العرب مادة (لجم)
46- شرح نهج البلاغة لإبن ميثم 5/ 490
47- الأدب الصغير والأدب الكبير 250
48 - م 0 ن 25
49- نهج البلاغة 509
50- الأدب الصغير والأدب الكبير 25 0
51- نهج البلاغة 509 0
55- الأدب الصغير والأدب الكبير 25 0
56- م 0 ن 26 0
57- نهج البلاغة 506 -507 0
58- الأدب الصغير والأدب الكبير 25 0
59- م 0 ن 26 0
60- الصناعتين 66 0
61- نهج البلاغة 504 0
62- ينظر : شرح نهج البلاغة لأبن ميثم 339/5 0
63- الأدب الصغير والأدب الكبير 34 0
64- غرر الحكم ودرر الكلم 359 0
65- م 0 ن 673 0
66- الأدب الصغير والأدب الكبير 50 0
67- شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد 20/ 446 0
68- ينظر: لسان العرب مادة (جدد) 0
69- الأدب الصغير والأدب الكبير 60 0
70- نهج البلاغة 441 0
71- م 0 ن 441 0
72- ينظر : شرح نهج البلاغة لأبن ميثم 4/ 223 – 224 0
73- الأدب الصغير والأدب الكبير 21 0
74- أمالي الطوسي 147 0
75- الأدب الصغير والأدب الكبير 22 0
76- نهج البلاغة 592 0
77- نهج البلاغة 526 0
78- الأدب الصغير والأدب الكبير 24 0
79- نهج البلاغة 579 0
80- الأدب الصغير والأدب الكبير 28 0
81- ينظر: لسان العرب مادة قَسَمَ 0
82- نهج البلاغة 567 0
83- ينظر : شرح نهج البلاغة لأبن ابي الحديد 18 / 344- 345 0
84- الأدب الصغير والأدب الكبير 16 0
85- ينظر : الأدب الصغير والأدب الكبير 16 (الهامش) 0
86- نهج البلاغة 463 0

87- ينظر : شرح نهج البلاغة لمحمد عبده 3 /427 0
88- الأدب الصغير والأدب الكبير 34 0
89- نهج البلاغة 608 0
90- الأدب الصغير والأدب الكبير 45 0
91- تحف العقول 27 0 ، وينظر : البصائر والذخائر 3/1 0
92- الأدب الصغير والأدب الكبير 57 0
90- الكافي 1/ 21 0 وينظر : بحار الأنوار 75/ 304 0 وهذا الحديث يرويه ابن أبي الحديد عن الصادق (عليه السلام) ينظر : شرح نهج البلاغة 18/ 310
93- الأدب الصغير والأدب الكبير 47 0
94- تحف العقول 352 0
95- الأدب الصغير والدب الكبير 46 0
96- الكافي 2/ 142 0
97- ينظر : شرح اصول الكافي 8/ 416 0
98- الأدب الصغير والأدب الكبير 35 0
99- م 0 ن 46 .
100- الكافي 1/ 75 0 وينظر التوحيد 126.

المصادر والمراجع

1- الأثر القرآني في نهج البلاغة (دراسة في الشكل والمضمون)، د.عباس علي الفحام، العتبة العلوية المقدسة ،2011 م.
2- الأدب الصغيروالأدب الكبير إبن المقفع، ط2 ، دار صادر، بيروت،2005م.
3- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت1371) تحقيق وتخريج حسن الأمين، دار التعارف بيروت ،(د.ت).
4- أمراء البيان، محمد كرد علي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة، 1937م.
5- بحارالأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت1111هـ)، تحقيق وتخريج حسن الأمين، دار التعارف، بيروت-لبنان،1983 .
6- البداية والنهاية،الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774ه)حققه ودقق أصوله وعلق على حواشيه علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي،1988م.
7- البيان والتبيين، أبوعثمان عمربن بح الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق د. درويش جويدي ط1، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان،2010م.
8- تاريخ بغداد، الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت463)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادرعطا، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ،1977م.
9- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د إحسان عباس ،ط4،دار الثقافة العربية، بيروت - لبنان،1983.
10- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبومنصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت429هـ) شرح وتعليق خالد عبد الغني محفوظ،دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان،2005م.
11- الجامع في تاريخ بغداد الأدب العربي ،حنا الفاخوري ط3،منشورات ذوي القربى،1427ه.
12- جمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت ،المكتبة العلمية ،بيروت،(د.ت).
13- دراسات في الأدب العربي، أنعام الجندي ،دار الطليعة ،بيروت،(د.ت).
14- دراسات في نهج البلاغة، آية الله الشخ محمد مهدي شمس الدين، وثق أصوله وعلق عليه الأستاذ سامي الغريري ،ط1،قم،2007م.
15- دفاتر عباسية في الشعر والنثر والحضارة والإعلام، د يوسف عبيد،المؤسة الحديثة للكتاب، طرابلس- لبنان،2008م.
16- سيرأعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت748 هـ) تحقيق شهيب الأرنؤوط، ط 9، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،1993م.
17- شرح نهج البلاغة ،عبد الحميد،بن هبة الله المدائني الشهير بإبن أبي الحديد، قدم له وعلق عليه لبشيخ حسين الأعلمي، ط3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان،2009م.
18- شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (679هـ)ط1، دار لفجر،لبنان بيروت 2009.

20- شرح نهج البلاغة، محمد عبده، ضبطه خرج مصادره فاتن محمد خليل ط1، دارإحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،2007م.
21- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، احمد بن علي القلقشندي ط1 تحقيق د .علي يوسف علي الطويل دار الفكر، دمشق ،1987م.
22- ضحى الإسلام، أحمد أمين ،ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،(د.ت).
23- عيون الأخبار، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قيبة (د.ت) شرحه وضبطه د.يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، دزت.
24- غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الأمدي التميمي (ت550هـ) تحقيق السيد مهدي الرجائي، ط3،مؤسسة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت).
25- الفهرست، ابو الفرج محمد بن إسحاق النديم، دار المعرفة، بيروت _لبنان ،1978م.
26- في الأدب العباسي، د.محمد مهدي البصير ،ط3،مطبعة النعمان ،النجف الأشرف ،1970م.
27- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ،ط2،مكتبة النهضة ،بغداد،1965م.
28- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت329هـ)، تحكبر غفاري ط4، دار الكتب الإسلامية، إيران،1365(ه.ش).
29- كتاب العين، أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175ه) تحقيق د.مهدي المخزومي، د. إبراهيم السمرائي، دار الهجرة، إيران 1409هـ.
30- المستويات الجمالية في نهج البلاغة، نوفل أبورغيف (دراسة في شعرية النثر)، دار الشؤون الثقافية، بغداد ،2008م.
31- مشكاة الأنوارفي غررالأخيار، أبو الفضل علي الطبرسي (من أعلام القرن السابع) تحقيق مهدي هوشمند، ط1، دار الحديث (د.ت).
32- مع المشككين في نهج البلاغة (مناقشة الشبهات والمؤاخذات)عادل الأسدي ،مكتبة العزيزي أيران ،2007م.
33- نهاية الأرب في فنون الأدب ،شهاب الدين أحمدبن عبد الوهاب النويري (ت733هـ) المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة، القاهرة،(د.ت).
34- نهج البلاغة، جمعه الشريف (ت406ه)ط4مؤسسة أنصاريان،إيران ،2006م.
34- وفيات الأعيان وانباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمدبن خلكان (ت681هـ) تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة، بيروت،1971م.

Abstract

Praise be to Allah and peace and blessings on Muhammad and good customers.
The rhetorical and philosophical dimensions to the words of Imam Ali (peace be upon him left their mark and raised on the book in various fields for the technical capacity in the image and the power of creativity to express performance.
Among those who are affected by the impact of clear words of the Imam (peace be upon him), Ibn al - every Ntegath seemed to effect the words of Imam clear.
It is little literature is a message that includes a range of governance and the commandments in a variety of purposes , including: religious , political, and military and other Ibn al keen to guide people to their livelihood and Maadehm and between other acts.
This is the message " of Badaa'i Ibn al - Fayad dictated his mind on his pen.
The truth is not for the words of Commander of the Faithful Ali ibn Abi Talib (peace be upon him) were not this message to these literary status.

This Masnthbth in this research , God willing This research was divided on several preceded Investigation submitted boot which offered a look at the words of Ibn al.

The first topic: modulated have explained how it affected Ibn al virtue of the faithful (peace be upon him) and Tadhamnha in his words , and in the second topic: fabrication and explained how it paired Ibn al between the rule and the commandments of messages and the faithful (peace) is produced each text other for himself, in the third section : Rugs, and it deliberately to expand in the words of forward Hosted by some of the explanations simple tries which simplify the meaning , and in the fourth section : brevity and here unlike Section III tried to Ibn al- where to delete some of the words of Imam in order to be brief , and then Conclusion search The most prominent results and proven sources , references and summary in English.

Last Awana Praise be to Allah and peace and blessings be upon Muhammad and The God of the good and virtuous.